ثم ظهرت كتب الجاحظ (٢٥٥ هـ) فكانت ممتلئة بأحاديثه المسهبة عن البلاغة ، كما كانت ممتلئة بالنماذج الأدبية والأقوال البليغة ؛ لقد كان الجاحظ موسوعي الثقافة كثير المحفوظ ، كما كان الأديبَ البصير بأدوات الأدب وما يقوم به من لغة وفكر وحسّ وتصوير ، أطاعته الألفاظ فأعطته من قيادها مالم تعطه أحداً ، وعاشت العربيـــة على لسانه حيّـة نديّـة ، فكانت له في معرفة جيد الكلام وبليغه ، وفي تمييز طبقات الكلام ، خبرة لم تكن لأحد غيره ، فاستطاع أن يسهم في ميدان البلاغة بما لم يسبقه إليه أحد .

تناول الجاحظ موضوعات البيان والفصاحة والبلاغة ، ولم يكن لكل من هذه الألفاظ مدلول خاص متميز ، فعرّف البلاغة عند الأمم المختلفة من فرس ويونان ورومان وهنود[1] ، ونقل أقوالاً كثيرة في البلاغة[2] ، وعلّق على بعض هذه الأقوال تعليقاً يشرحها ويوضحها ، قال : « حدثني صديق لي قال : قلت للعتابي : ما البلاغة ؟ قال : كل من أفهمك حاجتك من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ ... »[3] ثم عاد في موضع آخر ليقول : « والعتابي حين زعم أن كل من أفهمك

---

(١) البيان والتبيين ١ : ٨٨

(٢) البيان والتبيين ١ : ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ...

(٣) البيان والتبيين ١ : ١١٣